(المدى) تفتح ملف الواقع الصحي في مدينة الصدر

(القسم الاول)

انسجاما مع توجهات الصحيفة في القاء الضوء على مختلف جوانب حياة المجتمع العراقي، تفتح (المدى) الملف الصحي في مدينة الصدر. فعلى مدار اسبوع كامل تجول محرر (المدى) بين ردهات المستشفيات والعيادات الطبية في المدينة كاشفا عن معاناتهم ومشكلاتهم الصحية حاملاً اسئلتهم ومطالبهم الى المسؤولين للاجابة عنها.
ولكن من استمع ومن اجاب؟!

مستشفى فاطمة الزهراء للولادة بمدينة الصدر

مختبراته تعمل بأجهزة القرن الماضي والأدوية شحيحة والآن يمر بمرحلة الشيخوخة

بغداد : عبد الزهرة المنشداوي

احد الاطباء: تكلفة الرواتب الشهرية، لملاك المستشفى البالغ عددهم (٤٠٠) موظف يمكننا من بناء مستشفى مجهز بكامل احتياجاته وبالامكان ادارته بخمسين شخصاً فقط!.

في الطريق الى مستشفى الولادة في منطقة الحبيبية جنوب مدينة الصدر وبالقرب من البناية كان وراءنا شاب يحمل طفله ويكيل اللعنات للنظام البائد بينما كانت زوجته تسير الى جانبه بصمت وترمق بعينيها الطفل الصغير.

كان واضحا ان لديه الرغبة في الحديث مع اي كان سألناه عما اصاب طفله، فسارع بالقول بانه في سبيل مراجعة مستشفى فاطمةالزهراء للولادة (قبل سقوط النظام كان يطلق عليه مستشفى الحبيبية للولادة) من اجل الحصول على علاج خاص للاطفال الذين يولدون من ابوين صنفا دمهما غير متطابقين، اكتفينا منه بهذه الاجابة المقتضبة. وتركناه وراءنا لندخل من الباب الرئيس للمستشفى حيث تجمع العديد من منتسبيه معلنين اضراباً عن العمل وجودنا بينهم اعطى التجمع حماساً اكثر حين علموا بان الصحافة تقف بينهم ظناً بان الزيارة جاءت لتغطي اضرابهم فاندفع البعض منهم ليقول:

اضطررنا لهذا الاضراب اضطراراً، لم نشمل بمخصصات الخطورة التي صرفت للاطباء دون غيرهم من العاملين في المستشفى اردنا بكل السبل تجنيب المرضى انعكاسات الاضراب ولكن ليس في اليد حيلة.

المضربون عن العمل كان بينهم الممرض والمصور الشعاعي والبايلوجي والمنظفة.

السيد قاسم محمد الذي يشغل منصب نائب نقيب المهن الصحية.قال لنا لقد استثنينا مشاركة من يعملون في مجال الطوارئ والمجالات الاخرى التي تحتاج الى وجود الكادر بالقرب من المريض الراقد في السرير.

الموت والميلاد

موظفة الاعلام قادتنا مشكورة الى السجلات الاحصائية المعتمدة في مستشفى فاطمة الزهراء للولادة من هذه السجلات وبعد ان قلبتها الموظفة الموكلة اليها مهام الاحصاء عرفنا. بان مجموع ولادات الاطفال التي حدثت فيه خلال عام ٢٠٠٥ المنصرم كانت (١٦٢٧٨) حالة ولادة (٨٣٦٥) ذكوراً و(٧٩١٣) اناثاً واضافت كان عدد الوفيات بينهم (١٢٠) والرقم الاعلى كذلك للاطفال الذكور (٥٩) مقابل (٦١) للاناث.

معلومات اخرى استقيناها من السجلات اذ تبين ان عدد اسرة المستشفى الكلية تبلغ ٢٩٩ سريراً الجاهز منها للاستقبال ٢٥٢ سريراً وكذلك عدد من راجعوا المستشفى خلال العام المنصرم بلغ (٨٩٢١٦) مراجعاً من النساء بطبيعة الحال واطفالهن، وان عدد الذين ادخلوا المستشفى بلغ (٢٥٣٦٥) ما بقي علينا معرفته في هذا الباب ان عدد الاطباء العاملين في المستشفى يبلغ ١٥٠ طبيبا و٢٥٠ موظفا في شتى الاختصاصات المهنية سواء الطبية او الادارية. احد الاطباء كان يقف الى جانبنا علق على الفقرة الاخيرة مازحاً. ان تكلفة رواتب هذا الكادر الشهرية يمكنها بناء مستشفى مجهز بكامل احتياجاته ولو انه كان يدار من قبل قطاع خاص لاقتصر كادر المستشفى على عدد يمكن تقدير بخمسين موظفاً بدلا من ٤٠٠ موظف.

ولا نعلم ان كان يقول ذلك مازحاً ام جاداً.

التزام النظام

قسم الامراض النسائية يعج بالنساء اللواتي ينتظرن دورهن لمعاينة الطبيبة: (٢٥) امراة كانت ما بين واقفة وجالسة بانتظار دورها. رجل يلف رأسه باليشماغ كان بينهن يشعر بالامتعاض الشديد وينتقد سلوك البعض منهن لعدم التزامها بالنظام. عبر عن ذلك بالقول: انه باستطاعته التقدم بزوجته الى الطبيبة دون ان ينتظر دوره (اعطي للفراشة الف دينار). قال ذلك وخرج مشيحا بوجهه تاركا زوجته بانتظارها الذي يبدو انه سيطول اكثر. ابو العادة ما يبطل عادته

ذلك ما ذكرته لنا امرأة في العقد الرابع من العمر حين اطلقنا تساؤلاً غير موجه ان كان الارتشاء لايزال فاعلا في موسسات الدولة واسترسلت في كلامها مقطوعة.

اذهب الى قسم الولادات لترى العاملات فيه كيف يجردن النساء اللواتي يلدن من نقودهن مستغلات غمرة الفرح بالمولود. يطالبن بالنقود ولا يقبلن باقل مما يطلبن وكأنهن قد بعن الطفل لامه.

ما ذكرته لنا هذه المرأة ايدته النسوة المستمعات وطالبن ادارة المستشفى بايقاف هذه العادة التي تجعل البعض يقف محرجا خاصة من الذين لا يملكون الكفاية من النقود لتوزيعها على (الفراشات) اللواتي يسلكن هذا السلوك غير المستحب.

توفير العلاج

ام احمد (٤٩ سنة) وضعت مولودها في المستشفى قبل يوم اسمته (علي) جاءت من منطقة غير بعيدة وجدناها امامنا وهي تقف في باب غرفة المدير الذي يحتمل اصابته بعلة فيما بعد نتيجة دم الزوجين غير المتطابق، قالت لنا انها حظيت برعاية ووضعت مولودها في هذا المستشفى من دون عناء لتوفر الرعاية الطبية.

احدى المرضات سالناها ان كانت ام احمد ستحصل على العلاج المطلوب فاجابت بالايجاب بصيغة : ان العلاج هذا يباع بسعر غال في الصيدليات لكن المستشفى يوفره لمن يحتاجه مجاناً.

لا جديد

الاجهزة الحديثة لم تصل الى الان، المختبر في المستشفى يعتمد على اجهزة بالية مصنعة منذ السبعينيات وبعض الادوية غير متوفرة خاصة تلك الادوية التي لا غنى عنها لمستشفى مختص بالولادة مثل التي تستخدم في توسيع الرحم لدى النساء اللواتي يجدن صعوبة في حالات الولادة، وهذا ما ينطبق على ادوية المضادات الحيوية، التجهيز يعتمد اكثر ما يعتمد على المناقلات بين المستشفيات نطلب الادوية من وزارة الصحة فتقول لنا اذهبوا الى المخازن والمخازن تقول لا توجد ادوية هذا هو الحل في اغلب مستشفياتنا. ذلك نص ما قاله لنا رئيس القسم الفني في المستشفى واضاف. ان كنت تريد دواء فاذهب الى باعة الباب الشرقي وهو دواء اشد فتكا من المرض نفسه فهو غير خاضع لفحوصات ومنتج من شركات غير معروفة ويتداول بيعه تجار دخلوا هذا المضمار الذي لا علاقة لهم به.

من المؤسف ان نشكو نقصاً في علاج المغذيات وصناعتها من البساطة بمكان (ماء شديد النقاوة يضاف له الملح او السكر ليس إلا) ومع ذلك فنحن نعاني شحته، على وزارتي الصحة والصناعة ان تفعل دور معمل ادوية سامراء وادوية الموصل. الصناعة الدوائية العراقية جيدة ولدينا سبع كليات صيدلة في العراق يمكن لها ان توفر الكادر الذي يستطيع الانتاج والاشراف.

هدر مادي في المستشفيات على موظفي الحراسات واشياء من هذا القبيل.

هذا ما ذكره لنا مدير القسم الفني الذي عرفنا منه بانه اختصاص صيدلة، فاخذ حديثه الجانب الدوائي اكثر من غيره.

ولقد كان صريحا في ما تحدث به، اذ من اللافت للنظر ان اغلب المسؤولين في المستشفيات يتجنبون في حديثهم توجيه النقد او مطالبة الوزارة بما ينقص مستشفياتهم واحاديثهم غالباً ما تتضمن كيل المديح لوزارة الصحة ومباركة جهودها وانها تقف معهم في كل الاوقات.

مرحلة الشيخوخة

ابتسمت الدكتورة خولة محمد مديرة مستشفى فاطمة الزهراء للولادة ووضعت قلمها جانبا ونحن نسالها عن علة مستشفاها ومم يشكو قائلة: المستشفى شيد منذ عام ١٩٨٤ بطريقة البناء الجاهز وعمره الافتراضي (خلص) منذ سنين اي انه يمر بمرحلة الشيخوخة ودليلنا على ذلك انه عرضة لطفح مياه المجاري والامطار بسبب انخفاضه عن بقية مباني البيوت في المنطقة الترميم والصيانة لا تجدي نفعاً ما لم يتم تشييد مبنى جديد محاولات التصليح هنا وهناك لا يمكن الاعتماد عليها بعض الاجزاء لا يمكن اصلاحها والحلول كلها مؤقتة.

هذا ما ذكرته عن بناء المستشفى اما عن المرأة والصحة فمما يؤسف له ان الوعي الصحي مازال عند نسائنا قليلاً هناك نساء يستمررن بالحمل والولادة غير منتبهات الى الخطورة التي يمكن ان تطولهن، خاصة النساء المصابات بفقر دم شديد او من ولدن ثلاث مرات متتالية عن طريق التدخل الجراحي (عمليات قيصرية) فلو كان لهن الوعي الكامل بخطورة الحمل لامتنعن عن الحمل ولا يراجعن إلا بعد الولادة.

التوأمان السياميان

مما ذكرته الدكتورة خولة محمد لنا ان المرأة التي انجبت توأمين سياميين كانت قد وضعت حملها في مستشفى فاطمة الزهراء واضافت ان المرأة من منطقة جرف الندا ومن عائلة فقيرة وان التوأمين كانا أول مولود تضعه وعندما سألناها عن الفرق بين الامكانيات المتوفرة في مستشفياتنا ومستشفيات المملكة العربية السعودية التي تم نقل التوأمين اليها لاجراء عمليات الفصل بينهما اجابت صراحة لا اعتقد بان الطبيب عندنا اقل مهارة من الطبيب في السعودية ولكن مثل هذه العملية لا تشجع اي طبيب على اجرائها ولاسباب قد تكون اخلاقية ودينية فالتوأمان لا يمكن فصلهما من دون منح حياة لأحدهما على حساب الاخر منهما بقلب واحد وكبد واحد ولابد من التضحية باحدهما عند اجراء العملية. اغلب الاطباء يتحاشون اجراء هذه العملية التي تهب حياة على حساب حياة اخرى.

ان عائلة التوأمين عائلة فقيرة والام كانت ترتدي ثياباً شبه بالية دفع احد الراقدات في المستشفى الى التبرع بثوبها لها.

في مستشفى ابن البلدي

نساء يفترشن الأرض بانتظار العلاج وأطفال بلا أدوية

احد الاطباء: لو عمل الطبيب على تسجيل اسماء المرضى المحالين اليه من دون فحصهم فان اوقات العمل الرسمي لن تكفيه لمعالجتهم.

رجل في العقد الرابع يرتدي عباءة سميكة ويعتمر عقالا، عند اول دخولنا المستشفى كان منشغلاً في حديث مع موظف الاستعلامات. سمعناه يقول له: بان طفلته البالغة من العمر اربعة ايام قد احيلت من الطبيب المختص في قسم الطوارئ الى ردهة الخدج، فرفضوا استقبالها لعدم وجود اسرة كافية، الموظف من ناحيته اجابه بان عليه ان يدعها في قسم الطوارئ، وان بامكان الطبيب المختص التصرف.

كانت الرضيعة مغمضة العينين بين يدي والدتها التي تقف وراء الزوج تنتظر النتيجة. هذا ما كان يجري خارج مستشفى ابن البلدي للاطفال في مدينة الصدر.

ولمعرفة المزيد ولجنا في الداخل لنرى نسوة واطفالاً يجلسن على الارض وهن يحتضن صغارهن في الوحدة الثالثة التي قالت لنا عنها الممرضة ميسون مزهر، انها خاصة لمعالجة الاطفال المصابين بالالتهابات الرئوية وحالات اخرى ناتجة عن التغييرات الحادة التي طرأت على الطقس والتي زادت من اعداد الاطفال المرضى، والردهات لم تعد كافية. تضطر النساء الى افتراش الارض مع اطفالهن. سبب آخر يعود لهذه الحالة وهو ان قسماً من الردهات في حالة صيانة في هذا الوقت.

الماء الملوث

في قسم باطنية الاطفال في الطابق الاول من المستشفى حين ارتقينا السلم لم نر مرضى، بل رأينا عمالاً بمعداتهم يعملون، واسرة موضوعة بعضها فوق بعض.

الممرضة المسؤولة قالت لنا ان القسم يتسع لـ (٣٢) سريراً. ولكن المشغول منها هو النصف، بسبب اعمال الصيانة النساء واطفالهن يجلسون على الارض بسبب اعادة التأهيل، كثرة الاطفال المرضى الذين يقصدون المستشفى كان بسبب انخفاض درجات الحرارة. في الايام الاعتيادية يقل العدد، ان اكثر من نصف الحالات التي يشهدها قسم الباطنية اغلبها متأت من امراض سببها مياه الشرب الملوثة، حالات الاصابة بمرض الاسهال والجفاف في تصاعد مستمر.

في المدينة مستشفيات عددها اربعة لاغير وما يقارب ستة مستوصفات صحية المدينة ما زال الرقم الحقيقي لعدد سكانها غير معروف والاجابات تقول باننا ما بين المليونين والثلاثة ملايين والرقم الاول مستند الى بطاقة الحصة التموينية الصادرة من وزارة التجارة والاخير والثاني ذكره لنا مسؤول في دائرة الاحوال المدنية. ما يهم ان احد الاطباء قال لنا ونحن بصدد الحديث معه عن كثافة السكان والوضع الصحي بان الطبيب في هذه المدينة لو عمل على تسجيل اسماء المرضى المحالين اليه من دون فحصهم فان اوقات العمل الرسمي لن تكفيه لمعاينتهم.

مستشفى ابن البلدي ليس مقصوراً بمرضاه على مدينة الصدر يستقبل اطفالاً من مدن متاخمة. العبيدي، الطالبية، الاورفلي والحبيبية والشعب.

اشادة

ام تحمل طفلتها التقيناها في ممر المستشفى تقول لنا بان طفلتها تشكو من ذات الرئة اسمها رنين فراس عمرها ١٠ ايام. ما قدم لطفلتها من خدمات صحية من قبل الاطفال كانت جيدة، لقد تسلمت العلاج الذي وصفوه من صيدلية المستشفى مجاناً . ام اخرى قالت طفلي اسمه مصطفى سلمان عمره شهران يشكو من ذات الرئة (تنفس الطفل لم يكن طبيعياً ويصاحبه حشرجة)، هي الاخرى اشادت باطباء المستشفى وكادره الصحي.

قسم الخدج وازمة المكان

هدية ودنية طفلتان حديثتا الولادة ترقدان في سرير واحد في قسم الخدج عمتهما شابة في العشرين من العمر قالت لنا انهما يتيمتان توفيت والدتهما اثناء الولادة في مستشفى الجراح. وهذه الولادة البكر للام.

قسم الخدج يتسع لـ (٢٤) طفلا لاغير والاطفال الذين يحالون اليه ليس باستطاعتنا استقبالهم هذا ما قالته لنا الممرضة المشرفة وعندما سألناها عن كيفية تخلي المستشفى عن طفل بحاجة الى علاج قالت لنا:

الاطفال يحولون الى مستشفيات اخرى في مدينة الكاظمية او اي مدينة قريبة. المستشفى الان في حالة صيانة والنية في توسيعه قائمة. ثم استدركت قائلة: السعة لـ ٢٤ طفلاً ولكننا في الوقت الحاضر لا يمكننا استقبال اكثر من ١٢ طفلا.

حاضنات الاطفال وكما بدت لنا نظيفة وبمعدنها يعكس ضوء المصابيح الكهربائية.

احصاءات

قسم الاحصاء في المستشفى لم يبخل علينا بالارقام فهو يذكر لنا ان عدد الاسرة ٣١٦ ما بين اسرة نسائية للولادة واسرة اطفال.

وعدد وفيات الاطفال تبلغ معدلاً قدره ٢٨ طفلاً شهرياً، بسبب امراض عسر التنفس والتشوه والاختناق الولادي. وان معدل ولادات الاطفال يتراوح ما بين ٧٥٠-٨٠٠ طفل شهرياً.

بينما يبلغ معدل مراجعي المستشفى ١٢٠ مراجعاً شهرياً وتتركز امراض الاسهال في فصل الصيف خلال شهري حزيران وتموز بينما شهر كانون الثاني تزداد فيه امراض الربو القصبي لدى الاطفال. وفي ايام المناسبات والاعياد يستقبل المستشفى اكثر من ٧٠٠ طفل يومياً باصابات مختلفة.

مشاريع المستقبل

مستشفى واحد هل يكفي ؟

هذا هو السؤال الذي كنا نحمله في جعبتنا للدكتور محمد علي الياسري مدير المستشفى فاستهل جوابه بالقول: مستشفى ابن البلدي تأسس في عام ١٩٨٣ وهو جزء من نظام صحي وحلقة من حلقات تبدأ من بيت الطفل.

نحن الان في طور تأهيل المستشفى وصيانته. لدينا مشاريع عديدة نعمل على تنفيذها. اذكر لك منها اذاعة مركزية للتثقيف الصحي. المريض سوف يوضع بالقرب من سريره زر يمكن من خلاله استدعاء الممرضة عند الضرورة في غرفة السيطرة سوف نحسب المدة التي تلبى فيها حاجته. كذلك لدينا مشروع لمركز العلاج الطبيعي للاطفال المعوقين.

وعن مدى استيعاب المستشفى للاطفال المرضى وضيق الردهات بهم والدلائل التي تشير الى وجوب العمل على بناء مستشفى اخر للطفل في مدينة الصدر قال:

لست مع الرأي القائل بان المستشفى يعجز عن استيعاب اعداد الاطفال المرضى في مدينة الصدر ذات الكثافة السكانية العالية يعود الى اننا لانعمل بنظام الاحالة. هذا النظام هو السبيل الوحيد للحد من ظاهرة الزحام. الذي يحصل ان الأمهات والأباء يأتون باطفالهم ولاسباب مرضية بسيطة. الزكام وارتفاع درجة الحرارة وغيرها من العوارض البسيطة. مثل هذه العوارض يمكن بها مراجعة المراكز الصحية لتخصيص الدواء الذي يمكن به معالجة الطفل بدلاً من التوجه الى المستشفى الذي هو مركز تخصصي لاجراء الفحوصات السريرية واجراء التدخلات الجراحية. زحمة المرضى لدينا محددة بالمواسم ففي فصل الشتاء مثلاً تكثر امراض التهابات الصدر والربو القصبي يصاب به الاطفال باعداد كثيرة.

هذا الامر سببه ان الطفل في البيت لا يجد العناية التي يمكن بها تفادي الاصابة بالالتهابات. المدفأة بالغرفة وما تطرحه من غازات والتعرض لتيارات الهواء البارد السبب الرئيس. اعتقد ان مستشفى واحداً في مدينة الصدر بامكانه تقديم افضل الخدمات للطفل والطفولة. لكن الذي يحدث ان رب العائلة ياتي باطفاله الاربعة او الخمسة ويامر الطبيب بكتابة الادوية لهم . ويقول له اكتب لهذا حبوباً ولذلك شرابا.

الثقافة الصحية لو توفرت لابناء هذه المدينة لما رأينا مثل هذه الاعداد التي نراها الان.

الاهتمام بالبيئة من قبل الاخرين يخفف من اعبائنا، في فصل الصيف تزداد حالات الاصابة بالاسهال عند الاطفال وذلك يأتي نتيجة تلوث مياه الشرب، ولو احتاطت الدوائر المسؤولة لذلك فان مثل هذه الاصابة سوف تكون قليلة وبمقدور مستشفانا ان يقدم افضل ما لديه، من كل ذلك وددت القول ان المستشفى بحد ذاته حلقة من الحلقات الصحية تبدأ من البيت والشارع ولو كانت هذه الامكنة على مايرام لقلت الحاجة الى المستشفى. لا اخفي عليك باننا نحتاج الى العديد من الاختصاصات مثل الاختصاصات الجلدية والعيون وغيرها ونحن في سبيل تحقيقها في المستقبل القريب.

ما بقي علينا قوله هو ان مدير المستشفى الدكتور محمد علي الياسري ذكر لنا ان لديهم قسماً خاصاً بامراض الثلسيميا يعالج ما يقارب ١٥٠٠ طفل مصاب بتسمم الدم الوراثي استطاع المستشفى في الاونة الاخيرة الحصول على العلاجات اللازمة، وان السعي مستمر لتوسيع هذا القسم وجعله مركزيا لمعالجة الاطفال المحالين اليه من بقية انحاء العراق.